

ولقد قيل عن قصة «النبي المقنع» إنها محض خيال، وإنما لا تستند إلى شيء من الواقع، ولكن هذا غير صحيح. حقا إن نابليون لم يتبع الدقة التامة في ذكر التفاصيل، ولكن هذا لا يعني أن القصة لا تقوم على أساس تاريخي صحيح، بل إن المرء يلاحظ أنه عرض حوادثها عرضاً تمثيلاً (دراماتيكياً) قوياً. وقد كتبها نابليون عام ١٧٨٧، وجرى في تأليفها على أسلوب قولته ونشرت عام ١٨٢١ - أي عام وفاته

## النبي المقنع

بقلم الإمبراطور نابليون بونابرت

نقلها إلى العربية عن الترجمة الإنجليزية<sup>(١)</sup>

الأستاذ إبراهيم عبد الحميد زكي

### مقدمة

لا تنحصر أهمية هذه القصة في كونها أثار من آثار رجل عظيم تحسب، بل تمتد ذلك إلى ما تكشف للناس عنه من اتجاه نابليون وطموحه قبل أن تتبجح له الثورة الفرنسية فرصة لإظهار عبقريته ونبوغه في الحرب والقيادة. فقد كان نابليون حتى عام ١٧٨٨ ضابطاً صغيراً في الجيش الفرنسي، ولم يكن قد ظهر له من المواهب شيء يسترعى الأنظار، وكانت أسرته الكورسيكية قد أخى عليها الدهر وقضت الأيام بأن تمنى شائد السر والضيق السالى، فرأى الشاب أن يحزم أمره ويعقد عزيمته على إصلاح شئونها وتفريج كربتها بالالتجاء إلى الأدب عسى أن يظهر فيه ويذيع اسمه فينال من الشهرة ما يكفل له رواج كتبه وسعة رزقه، فأجبه بجميع قواه نحو تحقيق هذه الغاية، وبذل من الجهد العصبى في هذا الميدان مثلاً قدر له أن ينل في ميدان الحرب والقتال، فوضع كتاباً في تاريخ جزيرة كورسيكا وهدبه على الأقل ثلاث مرات؛ وألف رواية كورسيكية أيضاً وعلنة قصص متيرة وبضع قصائد شعرية ومقالات كثيرة. فل هذا كله ولم يبلغ سن العشرين، ولكن ذلك لم يجد عليه تقامراً ولم يحقق ما كان يطمح إليه، فلم ينشر كتاب التاريخ، وظلت روايته مخطوطة، ولم تر مقالاته ولا قصصه الضوء إلا بعد سنوات كثيرة من تأليفها

### القصة

في سنة ٧٧٦ ميلادية، أي بعد مائة وستين عاماً من هجرة النبي محمد، كان ميكادى<sup>(١)</sup> خليفة في بنسداد؛ وكان أميراً نبيلاً ذا بأس وقوة، فخشيه جيرانه وقدره وبجلوه. وفي ظل حكمه العادل تمتت بلاد المغرب بالسلم والرخاء. وكان الخليفة راعياً للعلوم والفنون فتقدمت الحضارة في عهده تقدماً سريعاً، إلى أن كدر صفو هذا الهدوء والتقدم قيام متنبئ جديد. ظهر هذا الرجل واسمه حكيم في مدينة خراسان فتبعه خلق كثير في وقت قصير. وكان طويل القامة فصيح اللسان فادعى أنه صوت الله على الأرض وقال: إن الواجب أن يكون الناس جميعاً من حيث المراتب والثروة سواء. واستهوى هذا القانون أئمة الدماء فهرع إليه ألوف من الناس وكان له بذلك جيش عظيم

ولما رأى الخليفة والنبلاء خطر هذه الثورة عقدوا العزم على خنقها في المهد؛ ولكن جيوشهم كانت تلاقى الهزيمة تلوه الهزيمة فزاد بذلك أنصار حكيم يوماً بعد يوم وبينما كان هذا النبي في أوج مجده إذا به يصاب بمرض شديد، وكان هذا المرض نتيجة الجهد المضني الذى بذله في المارك التى خاض غمارها. فلما خفت وطأة المرض ونال الشفاء أيقن أن حسنه قد ذهب، وأنه لم يعد يدخلك خير رجال العرب

(١) يريد للهدى، ويلاحظ أن رسم Mikadi قريب من Malak، فإما أن يكون نابليون قد أخطأ في النقل، وإما أن يكون المصدر الذى أخذ منه قد وقع في هذا الخطأ

(١) نشرت الترجمة الإنجليزية لهذه القصة لأول مرة في عيد شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ من مجلة Pearson's صفحة ٥٩٣. واسم للترجم الإنجليزية سيدنى ماتنجلى Sidney Mattingly

كثيرة فيسقط أعداؤهم فيها ويهلكون  
فقتلوا ما أمرؤا به ، وحفرت الخنادق وأتى فيها مقادير هائلة  
من الجير ، ووضع على حافتها أوان من النحاس كبيرة ملئت زيتاً  
قابلة للاشتعال

وعندئذ أقام حكيم حفلاً كبيراً دعا إليه أنصاره فأكلوا  
وشربوا من الخمر الذي قدم إليهم

ولكنهم لم يلبثوا أن وقعوا على الأرض صرعى يألمون أشد  
الألم من السم الزعاف الذي مزجت به الخمر ، ثم فارقوا الحياة .  
وكان حكيم وحده لم يذق هذه الخمر فأخذ جثثهم وألقاها في الخنادق  
ليلتفها الجير ثم سكب عليها الزيت وأشعل فيها النيران ؛ فلما  
تصاعدت أعمدة اللهب والدخان قفز فوق أتباعه فاحترق وكان  
من المهالكين

وفي اليوم التالي تقدم الخليفة وجيوشه صوب المدينة وأرادوا  
اتحامها ولكنهم عند ما اقتربوا من أبوابها وجدوها مفتوحة على  
مصراعها بغير حراسة ، فوقفوا قليلاً وترددوا خشية أن يعموا  
في كمين أعد لهم ؛ ثم دخلوها بمد قليل فإذا بها خالية من الناس ، وإذا  
بالنبي وأتباعه جميعاً قد هلكوا إلا امرأة واحدة من حظايا حكيم  
قصة يكاد العقل يأبى تصديقها لغرابتها ، وهي تين الذي البعيد  
الذي يذهب إليه الناس أحياناً طمعاً في الشهرة وبعد الصيت

### تعليق

هذه هي القصة كما كتبها نابليون وهي تنفق في مجلتها مع  
الرواية العربية التي سنأتى بملخصها في الأسطر التالية :  
ظهر القنق كما يقول ابن الأثير في حوادث سنة تسع  
وخسين ومائة بمدينة خراسان ، وكان رجلاً أعور قصيراً من  
أهل مرو يسمى حكيم . وكان قد اتخذ وجهاً من ذهب فجعله على  
وجهه ثلاثي ، فسمى القنق وادعى الألوهية ، ولم يظهر ذلك  
إلى جميع أصحابه . وكان يقول بالتناسخ فيزعم أن الله خلق آدم  
فتحول في صورته ثم في صورة نوح وهلم جرا إلى أبي مسلم  
الخراساني ، ثم تحول إلى هاشم ؛ وهاشم في دعواه هو القنق . وتيمه

وأوسمهم إذ كان قد عمى وخبا إلى الأبد ضوء عينيه الرائع  
ولما أحس بأن هذا التشويه الطاري قد يفقده السيطرة على  
أتباعه والتأثير فيهم ، رأى أن يحجبه عن أعينهم بقناع من فضة  
وضعه على وجهه . فلما فعل ذلك عاد إلى الاتصال بهم والتجول  
بينهم يخطبهم ويؤثر فيهم بفصاحته المهدودة ، فظل الناس مأخوذين  
بعنوية لسانه وسحر بيانه كما كانوا من قبل ؛ وكان يملل لهم  
إخفاء وجهه عنهم بأنه يخشى عليهم أن يهر أعينهم ذلك الضوء  
الفياض الخارق للطبيعة الذي ينبعث منه . إذ تبين له أن الطرف  
الحالي يقضى عليه بأن يتمد أكثر من ذي قبل على الحواس  
الديني التي أوقد شملته وأثار كرامته في قلوبهم

ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً إذ أصيب أتباعه فجأة بهزيمة  
منكرة على أيدي جيوش الخليفة ؛ فكانت هذه الهزيمة سمة  
عنيفة وجهت إلى صميم هذا الدين الجديد ؛ فهجر حكيم كثير من  
أنصاره ، وتراجع هو ومن بقى معه من أتباع قلائل إلى مدينة محصنة  
محوطة بأسوار عالية ؛ ولكنه لم يلبث قليلاً حتى أحرق به جند  
الخليفة وحاصروه

وتبين الآن أن أطم حكيم أحد طريقين : فإما أن يموت ،  
وإما أن يحدث له ما هو أسوأ من الموت وهو الوقوع أسيراً  
في أيدي أعدائه ، فجمع أتباعه وخطب فيهم قال :

أيها المؤمنون ! لقد اختارنا الله ورسوله لإعادة بناء هذه  
الأمة واسترجاع مجد الإنسان ؛ فلماذا إذن يثبط من عزتنا ويطق  
اليأس في قلوبنا كثرة أعدائنا ؟ أصنوا إلى ! في الليلة البارحة  
والناس نيام سجلت لله طويلاً ودعوته في حرارة قلت : أبتاه !  
لقد رعيتني وحييتني هذه السنين الطوال فهل أمتت أو أتم أحد من  
أتباعي حتى تخليت عنا ؟ فسمعت صوتاً يجيب : يا حكيم إن أتباعك  
الذين حافظوا على عهدهم وظلوا ممل ينصرونك ولم يتخلوا عنك  
في ساعة الحرج ، أولئك هم الذين سأنجيهم وأنصرم ، وأولئك هم  
الذين سيقاسمونك غنائم أعدائهم الطغاة وأمواهم . إنظر حتى  
ينزع القمر الجديد ، فإذا بزغ فأمروهم أن يحفروا خنادق في الأرض

وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة في غزواته . وقد كانت هذه الرواية وغيرها معروفة على الأرجح في القرن الثامن عشر عند أكثر الأدباء الغربيين فاستهوت أنفسهم وأثارت أخیلتهم لغرابتها وطرافتها ، ولانتحار القنع هذا الانتحار المروع ، فأخذها بمض الأدباء والشعراء موضوعاً لتمصصهم وأشعارهم . ولعل أشهر من تناولها بشيء من الاحتفال والناية في القرن التاسع عشر هو الشاعر الإنجليزي المشهور توماس مور Thomas Moore ( ١٧٧٩ - ١٨٥٢ ) وهو صديق الشاعر الكبير لورد بيرون وكاتب ترجمة حياته ورسائله . وقد أفرده قصة القنع الجزء الأول من قصيدته الكبرى *Lalla Rookh* (١) فأثنى النقاد على هذه القصيدة ثناء عظيماً لدقة وصف الشاعر للبلاد الشرقية وروحها ؛ ولكن هازلت الناقد المعروف أنكر شاعريتها ورأى فيها من آثار الصنعة أشياء كثيرة تفوق ما انطوت عليه القصيدة من روح شعرية صافية (٢)

ابراهيم عبد الحليم زكي

(١) نشرت عام ١٨١٧

(٢) يرجع في ذلك إلى كتاب سر وليم ميور عن الخلافة الاسلامية : صفحة ٤٧٠ طبعة ١٩٢٤ ، وإلى دائرة معارف الأدب الإنجليزي Chambers's صفحة ٣٦٣ وما يليها

## إعلان

تلن مصلحة الأموال المقررة قد  
القسيمة البيضاء رقم ٤١٩٢٨١ من العدد  
رقم ٨٢ (أموال مقررة)  
وقد اعتبرت للمصلحة هذه القسيمة  
لاعية . فكل من حاول استعمالها يعرض  
نفسه للمحاكمة الجنائية .

٩٠٦٧

خلق كثير من ضلال الناس ؛ وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا ؛ واجتمع إليه خلق كثير . وظهرت للبيضة (١) بيخاري والصفد معاوين له

وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل المهدي إليه أبا النعمان والجنيدي وليث بن نصر فخاروه مرة بعد مرة ، ثم أخذ إليه جيراثيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالبيضة الذين كانوا يتحاري قعاتلوم أربعة أشهر في مدينة بوجكت قتل منهم سبعمائة ولحق منهزموم بالقنع ؛ ثم سير المهدي أبا عون لمحاربة القنع فلم يبالغ في قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

وفي سنة إحدى وستين ومائة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والمساكر إلى القنع وأوقموا بأصحابه وهزموم ، وقصد المهزمون إلى القنع بسبام فعمل خندقها وحصنها . ووقع بعد ذلك فرة بين معاذ وأحد القواد وهو سعيد الحرشي فكتب الحرشي إلى المهدي يقع في معاذ ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب القنع ؛ فأجابه المهدي إلى ذلك ، فحاصر القنع وأطال الحصار ، فطلب أصحاب حكيم الأمان سراً فأجابهم الحرشي إلى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفاً ، وبقي مع القنع زهاء ألفين من أرباب البعائر . وتحول رجاء بن معاذ وغيره فقتلوا خندق القنع في أصل القلعة وضائقوه .

فلما أيقن بالهلاك جمع تساءه وأهله وسقام السم فأتى عليهم ، وأمر أن يحرق هو بالنار ثلاثين على جسده . وقيل بل أحرق كل ما في قلعتهم من دابة وثوب وغير ذلك ؛ ثم قال من أحببنا يرفع مني إلى السماء فليلق نفسه في هذه النار . وألقى بنفسه مع أهله ونساءه وخواصه فاحترقوا . ودخل السكر القلعة فوجدها خاوية ، وكان ذلك مما زاد في اقتتان من بقي من أصحابه والذين يسمون للبيضة فيما وراء النهر ، إلا أنهم يسرون اعتقادهم . وقيل بل شرب هو أيضاً من السم فمات . فأخذ الحرشي رأسه إلى المهدي فوصل إليه

(١) يقول سيد أمير على ( الترجمة العربية للأستاذ رياض رأفت صفحة ١٩٩ ) : وقد كان أصحاب القنع يلبسون اللباس الأبيض ولهذا سماوا بالبيضة ، كما أطلق على فرقة جديدة أخرى في « جورجيان » اسم المحبرة لإرتدائهم اللباس الجراء ، وكانوا يلبسون عباي لإحيا مفرطة